



التاريخ: 09/05/2008

الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

((سلسلة قوانين القرآن))

((سنن الله مع هلاك الأمم))

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعينه ونستعديه ونستترشده ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلا حول له ولا قوة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله خير نبي اجتبه وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ولو كره المشركون ولو كره من كره، اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فيا عباد الله أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعة الله وأذكركم بالموت فإن الموت باب وكل الناس داخله، فنحن عما قريب أيها الإخوة ذاهبون من هذه الدار إلى دار لا درهم فيها ولا دينار ليس ثمة إلا الحسنات والسيئات وإنه من يعمل من الصالحات فقد نجا ومن كان حاله غير الصالحات فحاله غير حال النجاة، فقدموا لأنفسكم

إنه من ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)﴾ [الزلزلة]

ثم أستفتح بالذي هو خير يقول الله تعالى في محكم التنزيل :

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137)﴾ [آل

عمران]

وقال الله تعالى : ﴿ فَهَلْ يُنظَرُونَ إِلَّا سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ

تَحْوِيلًا (43) ﴾ [فاطر]

نحن في الخطبة السابعة عشر من سلسلة السنن الإلهية في القرآن أو قوانين القرآن .

يا أيها الإخوة ما لم نقرأ القرآن الكريم باحثين فيه عن مراد الله تعالى منه فهناك خلل وقطيعة بيننا وبين القرآن .

في القرآن سنن تنظم كل هذا الكون، فيه نواميس حاكمة تحكم كل الكون، فيه قوانين لا تتبدل ولا تعدل ولا تتغير ولا يزداد عليها ولا ينقص منها .

ونحن بدأنا هذه الخطب حتى يتحضر في ذهن أحدنا قراءة القرآن الكريم بحثاً عن سنن الله تعالى .

تحدثنا لماذا هذه السلسلة، وتكلمنا عن السنن الإلهية في التغيير، وعن السنن الإلهية في النصر، وعن السنن الإلهية في الابتلاء، وعن السنن الإلهية في الهداية والضلال، وعن السنن الإلهية في الإيمان والعمل الصالح، وعن السنن الإلهية في الذنوب والسيئات، وفي الظلم والظالمين، وفي الحياة الطيبة والمعيشة الضنك، وفي تحصيل الألفة والمحبة، وفي رزق العباد، وفي تكليف العباد، وفي البقاء

للأنفع، وفي الصلح خير، وفي ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقَى (I32)﴾ [طه] ، وفي قوله: ﴿لَا يَحِيقُ الْمَكْرُ

السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (43) ﴾ [فاطر].....

وعنوان خطبة اليوم ستعرفونه بعد استماعكم لهذا النبأ :

بركان فيزوف علم من أعلام إيطاليا بشكل عام و نابولي بشكل خاص .

في المدينة جبل بركاني يعرف بجبل العبرة أو يسمونه جبل النذير، لقد أنشأت مدينة بونبيه في أسفل هذا الجبل، كانت المدينة متنزهاً راقياً لذوي الغنى والترف وكانت من أجمل مدن الإمبراطورية الرومانية، بدت عليها كل علامات الترف وخاصة بيوتها الفارحة الجميلة وقصورها العامرة ومسارحها الواسعة، تميز شعب بونبيه بالثراء المفرط وبدل أن يشكر الله على نعمه الكثيرة ضيع النعم بالمجون وباللهو وبالفواحش حتى صارت مدينتهم مستنقعا للرزيلة .

اشتهرت بونبيه بأميرين المصارعة وحال طبقة الأجراء والعبيد.

أما المصارعة فقد كانوا يقيمون مباريات المصارعة بين البشر والبشر وبين البشر والحيوانات الكاسرة في الميادين العامة، لم تكون هذه المباريات تنتهي إلا بموت أحد الطرفين بينما يتمايل الناظرون طرباً من مشهد الدماء الجارية، لقد انتزعت الرحمة من قلوبهم وهذا المشهد الدموي تحول في أيام النصرانية الأولى إلى مقبرة لدعاة الدين الجديد إذ قتلوا بوحشية قل نظيرها، فقد كان أهل بونبيه المترفون يستمتعون بمنظر الدماء البريئة وهي تجري أمامهم .

وأما حال طبقة الأجراء والعبيد فقد كانوا يعاملونهم كبضاعة رخيصة، وكان نبلاء بونبيه يجبرون عبيدهم على ممارسة الفواحش بأشكالها كافة وكانوا يمارسونها معهم .

خلاصة القول تجاوز أهل بونبيه الحد في الطغيان والمجون ووقعوا صرعى شهواتهم ونزواتهم فأتاهم العذاب من حيث لم يحتسبوا، لقد سلط الله عليهم البركان. انقذف البركان في لحظة -بركان فيزوف- وفجأة ودون سابق إنذار انمحت مدينة بونبيه من الوجود بدقائق معدودة وغطت حمم البركان المدينة بأكملها وتركتها سراً مدة ألفي عام .

في نهايات الألفية الماضية كشفت البحوث الأثرية آثار هذه المدينة، فبعد أن أزيلت آلاف الأطنان من الرماد البركاني ظهرت آثار المدينة .

لقد بقي كل شيء على حاله ألفي عام ورغم الانفجار الرهيب للبركان إلا أن شيئاً لم يتحرك من مكانه حتى الطعام بقيت آثاره، إلى الآن الأجساد كانت متحجرة وبقيت أحجاراً على شكل إنسان، العائلة التي كانت تأكل الطعام تحولت على وضعها إلى أحجار، حتى ملامح الوجوه كانت مرسومة، الملامح المشتركة بين الوجوه التي عثر عليها أصحاب الآثار في مدينة بونبيه أنها مظاهر فزع ودهشة . مدينة بأكملها أصابها العذاب ومضت وكأنها لم توجد وكأنها لم تسمع ولم ترى شيئاً .

إن هلاك شعب بونبيه يشبه الهلاك الجماعي للأمم التي أخبرنا عنها القرآن فالجميع يموتون معاً

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ (29) [يس]

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ﴾ (31) [القمر]

عنوان خطبة اليوم : السنن الإلهية في إهلاك الأمم .

أيها الإخوة لأننا مأمورون بالنظر في عاقبة الأمم التي سبقتنا بقوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي

الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ﴾ (10) [محمد]

وبقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَرَوُا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ ۚ﴾

(6) [الأنعام]

ولأن ((السعيد من وعظ بغيره 00)) [مسلم عن ابن مسعود].

لم يدر حلو العيش من مره	من لم يع التاريخ في صدره
أضاف أعماراً إلى عمره	ومن وعى أخبار من قد سبقوا

لكل هذا ستتحدث خطبة اليوم عن السنن الإلهية في إهلاك الأمم .

السنة الأولى : لا إهلاك قبل إقامة الحجة والتحذير والإنذار .

الله لا يهلك أحداً قبل أن ينذره وقبل أن يقيم عليه الحجة وقبل أن يعرفه الصواب من الخطأ .

قال تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥) ﴿[الإسراء]

وقال تعالى : ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ (208) ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (209) ﴿[الشعراء]

جرت سنة الله تعالى ألا يعذب قوماً حتى يبين لهم ما يحذرون فيرسل جل جلاله رسلاً وكتباً ومنذرين .

بل إن الله تعالى سمى رسله جميعاً منذرين ومبشرين .

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (24) ﴿[فاطر]

أي ما من أمة جاءت إلا وقد أرسلت إليها نذيراً .

وربما كان النذير لك خطبة حضرتها حدثتك عن عقوبة معصية أصررت عليها هذه رسالة تصلك دون أن يخبر أحد

وربما كان النذير لك درساً سمعته حدثك عن عاقبة فعل لا يرضاه الله أنت مواظب عليه

وربما كان النذير صديقاً رأيته أو رأيته عاقبته أمام عينك، وربما كان النذير مرضاً نزل بك، أوهماً طاف حولك، أو ضيقاً حل بك

فكل هذه رسائل إنذار علمها من علمها وجهلها من جهلها. ﴿وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَىٰ﴾

دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21) ﴿[السجدة]

السنة الأولى : لا إهلاك قبل إقامة الحجة والتحذير والإنذار .

السنة الثانية : تفشي الذنوب والمعاصي دون توبة هو العنوان الجامع لهلاك الأمم .

لو قرأت القرآن الكريم كاملاً من أوله إلى آخره تبحث فيه عن سبب إهلاك الله تعالى في الأمم لوجدت أن الجامع في الإهلاك هو تفشي الذنوب والمعاصي وهو ترك التوبة .

قال الله تعالى : ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ۖ ۝ (6)﴾ [الأنعام]

وقال تعالى : ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (40)﴾ [العنكبوت]

لقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أقواماً تلاعبوا بالمكيال والميزان، طففوا، غبنوا الناس حقوقهم المالية، غدروا، غشوا في أسواقهم التجارية، وداوموا على ذلك، واعتبروا أن التجارة شطارة، وأن المسألة مسألة قنص فأهلكهم الله تعالى -قوم شعيب-

لقد ذكر الله تعالى في قرآنه قوماً مارسوا الرذيلة وأشاعوا العري وبسطوا المجون وأداروا الفحش والفجور وصارت سهراتهم سهرات الفسق فأهلكهم الله -قوم لوط-

وذكر الله تعالى قوماً تفاخروا بالمساكن والقصور، وتكاثروا بالأموال، وأكل بعضهم بعضاً لأجل المال، وتباهوا بالثياب والحلي ولم يراعوا حق الله تعالى في كل ذلك ، زاد فقيرهم فقراً وزاد غنيهم غناً لم ينظروا إلى أوامر الله وبطشوا في الأرض جبارين فأهلكهم الله تعالى -قوم هود-....

وذكر الله تعالى قوماً خالفوا نبيهم وعتوا عن أمر ربهم فأهلكهم الله تعالى -قوم صالح-

وذكر الله تعالى قوماً سخرُوا من الصالحين وتمادوا في طغيانهم فأهلكهم الله تعالى -قوم نوح-

وهكذا أيها الإخوة ذكر الله تعالى في قرآنه أسباب هلاك الأمم بذنوبهم .

وها أنا الآن أذكر لكم أهم الذنوب التي عرض لها القرآن في أسباب هلاك الأمم حتى نكون على حذر أفراداً وأسرّاً وجماعات .

أولاً : الظلم .

﴿ فَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۖ ۝ (45) ﴾ [الحج]

﴿ ۝ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ۖ ۝ (59) ﴾ [القصص]

إياك أن تظلم أحداً ،إياك أن تظلم أجيئاً ،إياك أن تظلم زوجك،إياك أن تظلم زوجتك ،إياك أن تظلم فتاةً لتقيم معها علاقةً بالحرام ،الهلاك قريب جداً من الظلم .

الذنب الثاني من رؤوس ذنوب هلاك الأمم: البطر والترف .

البطر : استخدام النعم في المعاصي والمخالفات الشرعية .

والترف : مجاوزة الحد في التنعم مع نسيان المنعم .

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ

الْوَارِثِينَ (58) ﴿[القصص]

الذنب الثالث من رؤوس الذنوب التي تؤدي إلى الهلاك: الفسق والفجور .

إذا عصيت الله فاستح، إذا عصت المرأة ربها فلتتوارى عن الأنظار، أما أن تخرج النساء كاسيات عاريات ليبرزن المعاصي للخلائق، أما أن يباهي الشاب بمعصية ارتكبها بين أصحابه في الجامعة أو في الطرقاتفهذا فسق وفجور .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (34)﴾

[العنكبوت]

الفسق: هو الخروج عن أوامر الله تعالى .

والذنب الرابع والذي هو من رؤوس الذنوب التي في القرآن تستدعي هلاك الأمم: ترك النهي عن المنكر وترك الأمر بالمعروف .

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا

يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79)﴾ [المائدة]

الظلم والبطر والتترف والفسق والفجور وترك النهي عن المنكر والأمر بالمعروف أمهات الذنوب التي بها يكون الهلاك والعياذ بالله تعالى .

قال الصالحون : خف من وجود إحسانه إليك ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك استدراجاً .

السنة الثانية في إهلاك الأمم : تفشي الذنوب والمعاصي دون توبة هو العنوان الجامع لإهلاك الأمم .

السنة الثالثة والأخيرة: الإهلاك يأتي فجأة ودون توقع .

قال الله تعالى : ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (25)﴾ [الزمر]

ما كانوا يظنون أبداً أنهم سيهلكون ما كانوا يظنون أبداً أنهم ستنتهي بهم الحياة هذه النهاية .

وقال تعالى : ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (4)﴾ [الأعراف]

كانوا في القيلولة سيقومون إلى العمل بعد الظهر مرة ثانية جاء الهلاك .

قال الله تعالى : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ۖ (44)﴾ [الأنعام] أمرناهم كثيراً، نصحنهم كثيراً،

حدثناهم كثيراً، وعظناهم كثيراً، أرسلنا لهم منذرين كثيراً لكنهم نسوا .

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ۖ (44)﴾ [الأنعام] المال والجاه والعز

والعلم والمكانة والمنصب والجمال والكمال .

﴿ ۖ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ

(44)﴾ [الأنعام] مضطربون حيارى لا يعلمون ماذا يفعلون .

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (45)﴾ [الأنعام]

قال الطبري عندما فسر هذه الآية:

قال بعض العلماء: رحم الله عبداً تدبر هذه الآية . مخيفاً جداً هذه الآية أن تكون على سوء وربك يمدك بالنعم خف أن يكون استدراجاً لك وخف من هلاك يأتي فجأة .

وقال محمد بن النضر الحارثي: أمهل هؤلاء القوم عشرين سنة، الذين أخذهم الله بغتة .

و روى عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إذا رأيتم الله تعالى يعطي العباد ما يشاءون على معاصيهم فإنما ذلك استدراج منه لهم)) ثم تلا هذه الآية .

يا أيها الإخوة هذه هي بعض السنن الإلهية في هلاك الأمم:

1. لا إهلاك قبل إقامة الحجة والتحذير والإنذار .
2. تفشي الذنوب والمعاصي دون توبة هو العنوان الجامع لإهلاك الأمم .
3. الإهلاك يأتي فجأة ودون توقع .

الآن في ختام هذه الخطبة ماذا نعمل حتى لا يقع بنا هلاك ؟

الجواب في القرآن الكريم الآية رقم 33 من سورة الأنفال .

قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (33)

[الأنفال]

المطلوب أمران:

1) أن تحيى فينا شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليكون فينا .

لا يعقل أن يطول عمر النبي صلى الله عليه وسلم ألف سنة أو ألفين أو ثلاثة أو عشرة بطول عمر أمته لكن أن تحيى شريعته في الأمة فكأنه في هذه الأمة .

المطلوب أن تحيى فينا شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في المساجد ...

والآن مساجدنا مليئة، صلاة الجمعة تمتلئ في كل مساجد البلد ، صلاة التراويح الناس يصلون في الطرقات، العمرة مزدحمة من بداية أيامها، الحج تكاد تبذل خمسين واسطة لنذهب إلى الحج، هذا شيء جيد لكن يبقى أن تحيي سنة النبي صلى الله عليه وسلم في أسواقنا التجارية .

يا أيها الإخوة لا تؤاخذوني الأسواق التجارية لا يحكمها الشرع وإنما تحكمها المصلحة المادية حيث كانت مصلحته ذهب، ولو علم أن هذا الأمر حرام، ولو قلت له هذا الأمر لا يجوز يقول: غدا سأصلي، سأخرج إلى العمرة في هذه السنة، سأخرج إلى الحج الله يغفر لي كل شيء يغفر الله لي من قال لك، الأسواق التجارية لا يحكمها الشرع .

لا بد أن تحيي شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في أسواقنا التجارية ..

ولا بد أن تحيي شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في بيوتنا .

علاقات الزواج والطلاق، علاقات ابنك مع فتاة لا تحل له ...

كيف خرج ابنك مع هذه الفتاة وأنت تضحك وأنت تصفق ؟

كيف اتصلت بابنك، عمو أعطيني ابنك إذا سمحت وأنت أعطيت ابنك الهاتف وقلت تعال تكلم معها وأنت تضحك ؟

هذه علامة هلاك أيها الإخوة، وربما قال الأب لا مشكلة هذا زمن شببته غداً ينضبط إن شاء الله تعالى .

كيف تخرج الفتيات؟ بناتنا، أخواتنا، نساءنا، كاسيات عاريات وبدون كلمة من الأب وبدون إشارة وبدون عبارة وبدون رسالة ؟

يا بابا هذا لا يصلح هذا يخالف الشرع، يا بابا هذا يضرك ويضرنا ...

كيف أرسل ابني إلى مسابح مختلطة بحجة أنها فاخرة ولا يوجد في البلد مسابح فاخرة إلا تلك التي فيها اختلاط ؟

كيف تنزل ابنتي إلى مقهى عام لتشرع أركيلتها وتجلس على الرصيف لأن الأوربيين فعلوا هذا الفعل ؟

يا أيها الإخوة كلنا معرضون للخطأ لكن تعالوا نعود، وتعالوا نرجع لتحيا سنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في بيوتنا، في معاملنا، في جامعاتنا، في مدارسنا، في مساجدنا في كل شؤون حياتنا.....

إذا أحيينا شريعة النبي صلى الله عليه وسلم فالله تعهد لنا ألا يهلكنا. ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ

وَأَنْتَ فِيهِمْ ۝ (33)﴾ [الأنفال]

(2) والأمان الثاني من العذاب: أن نكثر من الاستغفار والتوبة والرجوع إلى الله تعالى .

نحن كلنا نقصر وما أحلى أن ترجع إليه فإن ربك ينتظرك .

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم فيا فوز المستغفرين , أستغفر الله ...